

سِاوة

البركان الخامد وسط الصّحراء

تحقيق وتصوير: وليد عبد الأمير

مدخلها، بعد قطعك مسافات طويلة موحشة، تفاجأ بمنظر جميل، هو وجود غابات من النخيل، على جانبي مدخل المدينة، والتي توحى للناظر إليها لأول وهلة، كأنها متصلة ببعضها البعض، بسبب كثافتها، رغم وجود شارع يفصل بين هذه الغابات.

الساواة من المدن السومرية القديمة، حيث انطلقت منها، وتحديدًا من مدينة (أوروك)، الواقعة ضمن حدودها، أولى بواكير الحضارة، وفيها ظهرت أول حروف الكتابة، ومنها انطلق أول سائح عرفه التاريخ، هو البطل الأسطوري (كلكا مش).

تحتل بحيرة ساوة مساحة صغيرة نسبيًا في أقصى الجنوب الغربي من مركز محافظة المنشي، وتبعد عنه مسافة (30) كم، وان الوصول إليها يتم عبر شارع مبلط، حيث تستدير بك السيارة، إلى الجهة اليمنى من الشارع العام، المؤدي إلى قضاء سلمان، المحاذي للحدود السعودية، لتأخذك إلى البحيرة، عبر شارع، تحيط به كثبان رملية، من كلا جانبيه.

كل شيء في العراق بات عجيبيًا، ويبعث على الحيرة والاستغراب، فحتى البحيرات، والتي تكاد تكون متشابهة، في جميع أنحاء العالم، إلا أنها في العراق تختلف تمامًا. فالبحيرة التي قمنا بزيارتها، تقع وسط الصحراء، وهي بحيرة مغلقة، وليس لها مصدر مياه واضح، يغذيها. ماؤها لا يزيد ولا ينقص، رغم ارتفاع درجات الحرارة، في المنطقة التي تقع فيها. هذه البحيرة التي تبدو مغلقة، لا يمكن أن تشاهدها، إلا إذا كنت على بعد خمسة أمتار منها، رغم أنها مرتفعة عن مستوى الأرض المحاذية لها، لها بحيرة ساوة، في صحراء جنوب العراق، والتي لم تعرف حقيقتها، من قبل أي شخص زارها لحد الآن.

الموقع وأهم خصائص البحيرة:
تقع بحيرة ساوة أو التي يسميها العراقيون بـ(ساوة الجميلة)، في مدينة السماوة، مركز محافظة المنشي، والتي تقع على مشارف البادية الموصلة إلى الأراضي السعودية والكويتية، وتبعد مسافة (281) كم جنوب العاصمة بغداد، وهذه المدينة عندما تصل

يمكن لك وبوضوح، أن تشاهد قعرها في الجانب القريب من السدة الترابية، ولم أتمالك نفسي، فاندردت بكل قوة نحو حافة البحيرة، ووقفت على أول صخرة كانت أمامي، رغم تحذيرات مضيفي بعدم التسرع، خشية حدوث ما لا يحمد عقباه.

شكل البحيرة يشبه شكل فاكهة الكمثرى، وهي محاطة بكهوف، وأخاديد ذات أشكال جميلة، ولون داخلها يميل إلى اللون الأخضر، بفعل الأعشاب والطحالب التي تعيش فيها، وتزداد هذه الخضرة تألقاً عندما تصل إليها أشعة الشمس، وكل ما حولك يبعث على الهدوء والسكينة، باستثناء قيام سرب من الطيور المتجمعة وسط البحيرة، بالتحليق عالياً، بعد أن شاهدتنا ونحن نقترّب من البحيرة .

أثناء الرحلة، وفي طريقنا إلى البحيرة، كان مضيفنا، وكذلك سائق السيارة، اللذان خبرا المنطقة جيداً، يحدثونا بأننا على وشك الوصول إلى البحيرة، إلا أننا لم نشاهد سوى صحراء قاحلة. وبعد وصولنا إلى سدة ترابية، لا يزيد ارتفاعها عن 60 سم، توقفت السيارة فجأة، وصاح مضيفي وبفرح غامر، ها قد وصلنا إلى البحيرة، إلا أن العجب قد تملكنا، لأننا لم نشاهد سوى كثبان رمال، ولا يوجد ما يوحي بوجود أي ماء في هذه الصحراء الموحشة. وفجأة صعد مضيفي إلى أعلى السدة، حيث تبعناه في الحال. بمجرد وقوفنا وسطها، فوجئنا بمنظر أخاذ ليس من السهولة نسيانه، هو وجود بحيرة تشبه البركان الخامد، الذي نشاهده عادة عبر شاشات التلفاز، ذات ماء صافى رقرق، بحيث



يمتاز بأنه من أشد أشهر الشتاء برودة في العراق، هذا وإن أفضل فترة لزيارة البحيرة هي الأشهر آذار - نيسان - مايس - حزيران - أيلول - تشرين أول حيث إن الأربعة أشهر الأولى، تسبق عادة الصيف اللاهب في العراق، في حين إن الشهرين الأخيرين يسبقان الشتاء القارس فيه.

لعل اغرب ما في أمر هذه البحيرة، انه لم يشتهر أمرها إلا في أربعينيات القرن الماضي، وقد أحاط بذلك، الكثير من الغموض والتأويلات، التي امتزجت مع بعض الخرافات، فقد قيل انها كانت موجودة إلا انها غارت، مثلما تصدع إيوان كسرى، وانطفأت نار المجوس، عند ولادة النبي الأكرم (ص)، وتحدثت الروايات بأنه يوم المولد الشريف، قد اقترب كوكب من الأرض، في الجهة المقابلة للبحيرة، حيث حدثت ظاهرة المد، لمياه المحيطات، مما أدى إلى

تبلغ مساحة البحيرة 12,5 كم2 ويتراوح عمقها بين 2 _ 5 أمتار، ولعل أهم ما يميز هذه البحيرة، هو عدم وجود مجرى مائي سطحي يغذيها، حيث إن مياهها باطنية، تخرج عبر فواصل وتصدعات في المياه الجوفية، وتمتاز أيضا بان الماء فيها لا ينقص ولا يزيد، طيلة أيام السنة، وحتى خلال شهري تموز وأب، حيث تصل الحرارة فيها إلى أكثر من ستين درجة مئوية، ومع ذلك فإنها تبقى محافظة على مستوى الماء فيها. إن هذا الماء ثقيل، ربما بسبب الأملاح المذابة فيه، وكذلك بسبب احتواءه على الكبريت، حيث أننا عندما قمنا باعتراف مقدار منه، شعرنا بنقله على راحة كفنا، كأنك تحمل سائلا ثقيلًا وليس ماء ازالالا.

إن أجمل ما في هذا الماء، انه كان دافئا، رغم إن زيارتنا للبحيرة، كانت في نهاية شهر كانون الثاني، الذي



ونصف، تنتشر على طول كهوف وأخاديد تكونت بفعل الطبيعة، نتيجة ذوبان الصخور، وتبلغ مساحة هذه الكهوف 1,5 إلى 2 م².

أما الأسماك الموجودة في هذه البحيرة، فالحديث يجري عن وجود ثلاثة أنواع من الأسماك، خاصة بها، وغير موجودة في باقي العراق، وموطنها الأصلي سواحل الهند، وجزر البحر المتوسط، مما يؤكد على أن هناك جذور امتداد، واتصال للخازن الجوفي المغذي للبحيرة، وبقية الآبار في المنطقة، إلا أننا لم نشاهد ما يوحي بوجود أسماك، حيث إن ما شاهدناه، لم يتجاوز وجود أحياء بحرية ميتة على جرف البحيرة، أشبه ما يكون بالود الكبير الحجم، وربما تكون هناك أسماك في قعر البحيرة، أو في الجانب البعيد منها .

بسبب الطبيعة الجغرافية لمنطقة البحيرة، في كونها بولية البادية الجنوبية لمحافظة المنشي، والتي تفتح على بلدان مجاورة، ذات طبيعة

سحب مياه البحيرة، نحو الأسفل، وبذلك غارت تماما، وبعد ابتعاد الكوكب، عادت المياه لوضعها الطبيعي، وهذا يفسر سبب غور البحيرة.

لقد أثبتت الفحوص المختبرية التي أجريت لمياهها، انها اقرب إلى مياه المحيطات، منها إلى مياه الأنهار والبحيرات، وربما قد أعطى ذلك دعما قويا لمن يؤمن بهذه المرويات، ويدعي بصحتها .

لعل ما يميز هذه البحيرة عن غيرها، هو وجود صخور ملحية، تشبه زهرة القرنابيط داخلها، حتى يخيل لمن ينظر إليها، كأنه يشاهد شخصا، أو زورقا، أو تلا صغيرا، داخل البحيرة، وكذلك فإنها محاطة بسد طبيعي من صخور الجبس وكبريتات الكالسيوم، وان هذه الصخور، الموجودة على مقربة من الكنف الملحي، يميل لونها إلى اللون الأبيض الفاتح، بفعل الأملاح المتكلسة فيه، ومما يزيد جمالها، هو وجود جرف ملحي يحيط بها من جميع جهاتها، ويصل ارتفاعه إلى حوالي متر



خلال السبعينات، والثمانينات، من القرن الماضي، كانت هذه البحيرة هي المرفق السياحي الأهم في المحافظة، حيث كانت تفتقد إليها عوائل من أهالي السماوة، لقضاء يوم ممتع، لما تتمتع به هذه البحيرة من جمالية، بحيث صارت هي الرئة التي ينتفس منها أبناء المنطقة، لذلك فقد تم تشييد 16 شقة معلقة بسبب ارتفاع البحيرة عن الأرض المحيطة بها، وكذلك كانت هناك بناية لمطعم جميل، على شكل خيمة، يشبه شكلها شكل فاكهة الكمثرى المماثلة لشكل البحيرة. إلا أنه بسبب الظروف التي عاشها البلد، لم تعد العوائل تتردد على هذه البحيرة، ولم يعد أي شخص يصل إليها، وربما في القريب العاجل تعود البحيرة إلى وضعها السابق، وتندب الحياة في مطاعمها الجميلة، بعد أن تحولت إلى مجرد هياكل، تبعث على الأسى والحزن، لكل من ينظر إليها.

صحراوية (السعودية والكويت) تفتقر للأراضي الرطبة، لذلك فإنها كانت محطة استراحة للطيور المهاجرة، حيث سجلت المنطقة وجود زهاء 16 نوعا من الطيور، أغلبها من المهاجرة، بالإضافة إلى الطيور الصغيرة المحلية، والغريب أنه بمجرد وصولنا إلى حافة البحيرة، شاهدنا مجموعة من الطيور، كانت موجودة وسطها، إلا أنها وبمجرد مشاهدتنا، طارت جميعها، وانتقلت إلى الطرف البعيد من البحيرة، وقد أوعزنا السبب في ذلك، إلى أن هذه الطيور، لم تعتد على مشاهدة أشخاص يصلون للبحيرة، وربما اعتبرتهم مصدر خطر ووسيلة للإزعاج. إن مياه هذه البحيرة، تمتاز بأنها تحتوي على ملوحة ذات نسبة، تقدر بـ 1600 جزء من المليون، وهي نسبة عالية جدا، إذ أنها أكثر ملوحة حتى من مياه الخليج العربي، والتي لا تزيد نسبتها عن 530 جزء بالمليون.

